فترة الغروب

قصة بقلم ديزي الأمير

جاء الليل مرة اخرى او سيجيء ، فالان وقت الغروب ، الفترة التي تخشى مجيئها كل ظهر . وتفكر بها صباح كل يوم .

تقول : اذا مرت فترة الغروب ، اذا استطاعت تحملها ، ان ترى الشمس تنخفض وتنخفض ثم تهبط فجاة وتختفي ، اذا لم تلاحظ هذا او اذا كانت اكثر حظا وصادف وجودها داخل اربعة جدران وسقف ، فان فترة الغروب ستمضي وتنسى انها عبرتها ولكن .. ولكن الليل طويل ، اذا بدأ فمتى ينتهي ؟

بدأ الليل . احست بعتمته فجاة . كانت تراقب الافق من الشرفة وهي تردد امنيتها همسا ، تهمس بها لنفسها او للشمس او لله .. لا تدري لمن . تفعل هذا لعل تلفظها يصادف لحظة هبوط الشمس فتتحقق الامنية .

هي لا تؤمن بالاساطير . تهزأ من كلمات حظ وصدف وقدر وتسميها خرافات ، ولكنها ترددها وتتبع تعليماتها وتلجأ اليها .

اذا رمشت العين اليسرى فستسمع خبرا سارا والعكس مع العين اليمنى . اذا طنت اذنها فهناك من يتذكرها ، من يفكر بها . ويشغلها الطنين : تريد أن يكون المتذكر من تذكر هي ثم تتعبمن الوهم . عاشت عليه فترة اسعدها لمرحلة قبل ان تكتشف انها كانت توهم نفسها بتلك الاوهام .. والان وقد جاء الليل الطويل استيقظت الاشياء . اطلت الحقيقة مترقبة اشارة خديعة صغيرة لتصفعها . كم سلمت خد ايامها للحقائق تصفعها الصفعة تلو الصفعة وتلقت تلك الضربات والصفعات وكانها تنتظرها . فهي مهما طالت ومهما كثرت وتعددت ستنتهي ، ستقف عند حد . لا بد للاشياء من الوقوف . لا يمكن لها ان تستمر في السير .

كان هذا ما ترده دائما كلما احست بتعب جديد . اعادت هذا الحديث لابيها اليوم حين سالها (لم تبدين شاحبة) . اصغى اليها وتوقف فترة قبل ان يعلق : ما معنى ان تنتهي الاشياء ؟ وان تقف ؟ تطلعت اليه ، الى شعره الاشيب ، والى الغضون العميقة في وجهه ، وخافت ان تنظر الى عينيه الذابلتين . اجابت مسرعة :

ـ كم يتعبني العمل الروتيني . اتمنى لو ابقى اياما في البيت او اتجول في الشوارع دون ان احمل ساعة . ان لا ينتظرني شيء ولا انتظر شيئا ..

قاطعها ابوها : ـ اصعب ما في الحياة ان لا يكون فيها انتظار..

ثم اردف : ـ او ان يكون فيها انتظار .

وراعتها هذه الحقيقة الاخرى فصمتت لئلا تاتيه بحقيقة ثالثة .

كان الحر شديدا مساء تلك الليلة . لم تستطع البقاء في غرفتها . كانت تتمنى لو تستطيع الاسترخاء على الفراش وتامل السقف: هذا كل ما تطلبه الان .

ولكن الحر شديد والمروحة الكهربائية معطلة ، والمصلح كاذب يماطل في مواعيده وغرفتها شديدة الحرارة وهي تريد الاسترخاء على الفراش والتطلع الى السقف ولا تستطيع . كم تكره المصلح وكم تكره الحر وكم تكره الكذابين !

شرف الجيران تطل قريبة على شرفة بيتها الكبيرةويغبطها الاصدقاء على وجودها وهم لا يدرون انها لا تستطيع الاستمتاع بها . فضول الجيران واصوات المذياع والتلفزيون من هنا وهناك اضافة الى حوار لشرفات يزيد الحرارة . فاين تذهب وكيف تتخلص من هذا الالف شيء وشيء التي تجيش في نفسها ؟

في الصباح احست بغربة شديدة . لاول مرة تحس انها غريبة . لعل شده الحرارة ذكرتها بحرارة الجو في بلادها . هناك في بيتها كانت مئة وسيلة للتخلص منه او لتخفيفه على الاقل ، وهنا لا سبيل لها غير التشكوى ، ويعجب السامعون : انهي تشكو حرارة الجو وقد جاءت من بلد معروفة شدة حرارته !! كانت في اول الامر تعدد اساليب البريد ونوعية البيوت هناك ثم تعبت من الترديد واكتفت بالشكوى ثم تعبت من الشكوى واكتفت بالصمت المتعب .

تذكرت اليوم بيتها هناك وتصورت نفسها صغيرة تمسك بخرطوم الماء القوي ترشي الحديقة وتعاقل شقيقاتها ببعض الماء (وهي تدري انها ما ان تفلت الخرطوم وتركض حتى يلاحقها الرذاذ) فترتمي على الحشيش الاخضر الفسيح ويزداد انصباب الماء . وبين الضحكات المستفيثة الفرحة تسمع صوت امها يحذرهن من الماء ومن الشمس ومن كثرة اللعب والضحك ! ماذا بقي من تلك المحذرات غير الشمس الحارقة ؟ امتلات عيناها بالدموع فاسرعت تكمل الاستعداد للذهاب الى العمل .. الى الروتين .

وقفت مع جموع المنتظرين . السيارات قليلة في هذه الساعة من الصباح . في بلدها حين كانت صغيرة كان بيتها قريبا من المدرسة وحين كبرت وكبر أخوها واخواتها انتقلوا الى بيت قريب من الجامعة . كيف كانت الاشياء قريبة وفي متناول يدها ؟؟

جموع الناس تزداد حولها وعدد السيارات يقل والوقت يمر سريعا . وجدت نفسها تضحك لنظرات الانتصار في عيون الراكبين . لم تخرج المرآة تنظر الى عينها بعد ان حشرت نفسها في احدى السيارات المكدسة برائحة العرق البشري . انها تنتظر ان يمر هو بها صدفة بسيارته الكبيرة المريحة ويحملها معه وفي الطريق لا يتعاتبان ثم يتصالحان . تكررت اليوم خيبة الامل اليومية . ومرت امامها صورة صديقة لها رأتها كما رأتها في ذاك اليوم تشد شعر رأسها وتبكي وتصرخ وتستغيث وتطلب من كل الاصدقاء ان يبحثوا لها عن حبيبها ويجلبوه لها . ان يشقوا الارض ويأتوا به . ان يطلبوا من الشرطة ايقافه عند اية حدود يحاول اجتيازها بحجة انه سارق ، بحجة انه قاتل ، باية حجة كانت ... المهم ان يبقوه لتراه وتحدثه وتتوسل اليه ان يعود اليها .. لا لا تريد الاسترسال في التذكر . هل ينزل الحب بعض الناس الى هذه المذلة ؟

لم يكن في نفسها شهوة للعمل ، ولكنها عملت وبنشاط وحماسة وفي نصف الساعة الاخيرة من الدوام لم تستطع انجاز شيء مع كل ما تناولت من مرطبات ومنعشات . ومع كل ما قالته لنفسها لقد عصتها يداها وعصاها تفكيرها . ووصلت جريدة الظهر فتمنت لو تجد فيها خبرا مفرحا يهزها . خبرا كبيرا يثير الدنيا لعلها تتحرك ويتحرك معها الناس يذهبون الى الشوارع يرقصون ، ويمرحون ويرددون الاهازيج ويحملون الشعارات . يشتركون في الهدف الواحد الكبير الكبير .

ولكن حروف العناوين الكبيرة في الصحيفة ذبحتها : كل ما يهم المحررين محليات ضيقة صغيرة . لا تدري من تلوم ومن تعاتب ومن هو المسؤول ؟ اهم الناس ؟ الافراد وحدهم هم المسؤولون والملومون

بائع اللبن والأضواء

أحزان المغرب تطوى آفاقى
هذا الاصباح
صوت المسمار يدق النعش لاعماقى
وأنين جراح ..!
أحزان المغرب تطوينى
والصمت المر على بابي ..!
جدران المنزل أظفار .. أنيـــاب ..
أشباح
أضواء الصبح تحاصرنى
تزعم لي ان الوقت صباح
أصوات الباعة من حولى
تصرخ في وجهي :
الوقت نهار
وصياح الاطفال بحارتنا يبكي :
الوقت نهار

***

من تحت الباب رأيت جرائدنا
هذا الاصباح
ألقاها الطفل وناداني
من خلف الباب
أمسكت باحداها فرأيت
شيئا يتمرد كالرقطاء ..!
أنباء الكرة البلهاء ..!
طوفان وباء .. طوفان وباء
يخنق في عيني كل الاضواء ..!

***

بباع اللبن المسكين تنكر لـــي هـــذا
الاصباح
زيف لي شيئا يقنعني
أن الماء المخلوط حليب
ولاني اشربه في كل صباح
أقعيت على مائدة الافطار ..!
لكني حين شربت حليبي
لاحت لي أحزان غروبي
اشباح الليل ترامت بي
في نعش وحشي دامي ..!
وطواني بحر الاحلام
وبرغم صياح الاطفال
وضياء الصبح المجنون
ونداء الباعة من حولي
كانت اعماقي تصرخ من حولي :
الوقت مساء !
الوقت مساء !
نـم يا مسكين
فبرغم الشمس .. برغـــم اعاصير
الاضواء ..!
وبرغم صياح الاطفال بحارتنا الخرساء
نـم يا مسكين
فالشمس هنا يصنعها الناس !
بقشور الذهب العجفاء
زائفة صارخة الاضواء ..!
يصنعها من يصنع كوب حليب
مخلوط بالماء .. !

***

نـم يا مسكين
فالوقت مساء !
الوقت مساء !

القاهرة

سعد دعبيس

والجديرون بالعتاب ! ام هو القدر والظروف ؟ وفشلنا الذي يجب ان نواجه ؟ هل نستطيع مناقشته ؟ هل نساله لماذا نجح وانتصر ؟ النجاح !! والانتصار !!

صديقتها التي اذلها الحب تعيش في بيت سعيد مع حبيبها وطفليها . كم تحتاج صوت أمها يحذرها . حديقة بيتها بيعت . من يفترش المرج الاخضر الفسيح ؟ ليت احدا هناك يرش الحشيش والزهور حول امها ...

ستجد المروحة لا تزال معطلة والحر قد اشتد عن الامس . صوت مذياع الجيران يعلو على اصواتها واصواتهم تعلو احيانا عليه .. لا لن تروي لابيها حقائق جديدة مرعبة . سيأتي الغروب واذا مر فبعده الليل الطويل الطويل . ولن تحمل صحف الصباح اخبارا يرقص لها الناس طربا في الشوارع ويزغردون .

سمعت صوت عصا تتعثر ودخل غرفتها شحاذ اعمى ادخله الحاجب فاشارت اليه انها غير موجودة ولم ير الشحاذ ولم يسمع ، فبدأ يشرح حاجته وضائقته . تريد ان تصرخ فيه وتطرده انها ليست ملجأ لذوي العاهات ولا المكان هنا دار للعجزة . نهضت وتركت الغرفة ، فسمعت صوت الشحاذ الاعمى ينادي : يا ست يا ست لم لا تجيبين ؟؟ تسمرت في مكانها واصغت ولكنها لم تتحرك . ايقنت انه لم يبق للرحمة مكان في نفسها .

انحشرت في سيارة العودة ظهرا ورائحة العرق البشري قد اشتدت . جارتها في السيارة لا تريد فتح النافذة خوفا من تطاير شعرها المصفف . شكا السائق من كثرة مراقبة الشرطة وتزايد عدد سيارات الاجرة . اصبح السائق يعطي الشرطي اكثر من نصف اتعابه ثمن مخالفات . بدأت الشكاوى تتوالى من الركاب وتطوعوا لمشاركة السائق وجدانيا وعرض همومهم . وفجأة ارتفع صوت رفيع صدر من صاحبة الشعر المصفف التي تخاف عليه من الهواء قالت : « من لا تعجبه الحياة فلينتحر ! »

ادار الركاب رؤوسهم نحوها . تأملوها وعادوا الى وضعهم الطبيعي. سكتوا كانهم خجلوا من تعاستهم الجبانة .

في البيت وجدت المروحة مصلحة . اغلقت النافذة تنفصل عن الجيران . بدأت عينها اليسرى ترمش . ستنام الان . وحين تصحو ... يكون قد بدأ الغروب واذا عبر فستاتي عتمة الليل الطويلة . مع كل عتمة الشحاذ الاعمى فانه لم ينتحر . سمعته ينادي : « يا ست يا ست لم لا تجيبين ؟ » فاستحت اذ خافت ان لا يكون قد بقي للمحبة مكان في نفسها . (صاحبة الشعر المصفف لا تريد الانتحار) وهي !... هي ستنام وتصحو ... ربما بعد الغروب ، ربما على طنين اذن ، وربما .. ربما على خبر .

القاهرة

ديزي الامير